المؤتمر العلمي الدولي الأول
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

الرؤية الإصلاحية عند شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين:

إعداد

أ. محمد ميلودي

كلية الآداب واللغات

– جامعة أحمد دراية– أدرار– الجزائر.

١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م

الرؤية الإصلاحية عند شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين

الرؤية الإصلاحية عند شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين

أ. محمد ميلودي
كلية الآداب واللغاتلا- جامعة أحمد دراية- أدرار- الجزائر.
البريد المهني: moh.miloudi@univ-adrar.edu.dz
ت: ٢١٣٦٦٤٣٦٠٦٤٧

ملخص:

يعتبر الأزهر الشريف من المراكز الإسلامية الرائدة في الدعوة للإصلاح؛ فمشيخة الأزهر وعلماءه كان – ولا يزال – لهم دورًا مشهودا في الإصلاح؛ من خلال ما بذلوه من جهود، وما تركوه من موروث فكري وعلمي وثقافي ...

وشيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين من الشخصيات الإسلامية البارزة في الدعوة إلى الإصلاح؛ فما تركه من موروث فكري ثري، وما قدمه من أعمال جليلة؛ تعكس فكر هذه الشخصية الفذة.

ولذلك تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على الرؤية الإصلاحية عند شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين؛ من خلال الكتابات المستفيضة له في هذا الموضوع؛ ولإبراز سمات رؤيته الإصلاحية، وأسسها، والمنهج الذي سلكه في الدعوة إلى الإصلاح.

Summary:

Al-Azhar Al-Sharif is considered one of the eading Islamic centers in calling for reform. The sheikhs of Al-Azhar and its scholars had - and still are - a remarkable role in reform; Through their efforts, and the intellectual, scientific and cultural traces they left...

The Sheikh of Al-Azhar, Imam Muhammad Al-Khidr Hussein, is one of the prominent Islamic figures in calling for reform; What he left of a rich intellectual heritage, and what he presented of great works reflect the thought of this unique personality.

Therefore, this study seeks to shed light on the reformist vision of the Sheikh of Al-Azhar, Imam Muhammad Al-Khidr Hussein; Through his extensive writings on this subject; And to highlight the characteristics of his reformist vision, its foundations, and the approach he took in calling for reform.

مقدمة:

يعتبر الأزهر الشريف وعلى مر العصور قلعة من قلاع الإصلاح، لما حباه الله من خصائص وميزات؛ جعلته قبلة للعلماء من جميع البقاع، فكان عماد الدعوة إلى إصلاح الأمة، بما يحفظ لها خيريتها المنبثقة من قول المولى سبحانه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُومِنُونَ بِاللَهِ} (آل عمران: ١١٠)، والمتتبع لتاريخ الأزهر يدرك جليّا الدور الفعّال له ولشيوخه وعلماءه في خدمة الإسلام والأمة الإسلامية؛ بل والإنسانية جمعاء، من خلال الدعوة إلى الإصلاح بوسطية واعتدال.

وتفرد الأزهر على غيره في الدعوة إلى الإصلاح لما حباه الله من خصائص، لم تكن لغيره؛ فمركزية الأزهر وموقعه الجغرافي، بتوسطه بين المغرب والمشرق، ووجوده بمصر ملتقى الثقافات ومهد الحضارات، إضافة إلى قربة من الحجاز؛ فهو ملتقى الحجيج في طريقهم إلى مكة، وصبغته العربية الإسلامية الخالصة، كل ذلك صنع له التميز في دعوته الإصلاحية.

ومشيخة الأزهر وعلماءه كان لهم دورا مشهودا في الدعوة إلى الإصلاح، سواء من خلال قيادتهم للأزهر، أو من خلال الموروث الذي خلفوه من كتب، ومقالات، وإنشاءٍ للصحف والمجلات، ومساهمتهم في الحياة الفكرية والعلمية والثقافية وغيرها.

وإذا تكلمنا عن مشيخة الأزهر يبرز إلينا قلم فريد في الدعوة إلى الإصلاح، وهو: شيخ الأزهر العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله، وما بذله من جهود إصلاحية مشهودة، وما خلّفه من موروث فكري وعلمي وثقافي، يعكس عبقرية هذه الشخصية الفذة، فكان اختيارنا له في هذه الدراسة؛ لإبراز

أعماله، وجهوده في الدعوة إلى الإصلاح، ورؤيته الإصلاحية، من خلال الكتابات المستفيضة له في موضوع الدعوة إلى الإصلاح.

ولأن مصطلح الإصلاح كان ولا يزال يشوبه الكثير من الغموض، ويتراوح بين تشدد الغالين، واستهتار المميِّعين، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهود علماء ومشيخة الأزهر الإصلاحية، متمثلة في رؤية شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر للدعوة إلى الإصلاح، وكنموذج بارز لهذه الجهود، وذلك من خلال إبراز المفهوم المعتدل لهذا المصطلح، وإبراز الدور الريادي لمشيخة الأزهر وعلماءه في الدعوة إلى الإصلاح بوسطية واعتدال.

المحور الأول: مفهوم الإصلاح:

أولا- المفهوم اللغوي:

تطالعنا المعاجم اللغوية بأن الإصلاح نقيض الفساد، وهو من الفعل صَلَحَ يَصْلَحُ ويَصْلُحُ صَلَاحًا وصُلُوحاً، والجمع صُلَحَاءُ وصُلُوحٌ.

ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصْلحٌ في أعماله وأموره، وقد أصلحه الله، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدّابة أحسن إليها فصلحت، وقد سمت العرب صالحًا ومصْلحاً وصُلَيْحاً. وأصلح في عمله، أو أمره: أتى بما هو صالحٌ نافع[1]. وفي القرآن الكريم: [وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُومِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سَوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] (الأنعام: ٥٤).

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، مادة (صلح)، ص٢٤٧٩.

ويتردد مفهوم الإصلاح كثيرا في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى:[وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ] (هود: ١١٧).

وقوله تعالى:[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ] (الانفال: ٠١).

وقوله سبحانه:[لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أمرَ بِصَدَقَةٍ أَوِ مَعْرُوفٍ أَوِ اصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] (النساء: ١١٣).

وهذه المعاني اللغوية جميعها تدور حول اشتمال الإصلاح على معنيين اثنين:- أنه نقيض الفساد – وأنه الإحسان إلى الشيء لإقامته على ما يُصْلِحُه ويَصْلُحُ له. فالإحسان من معاني الإصلاح، وهو يُحيل إلى أن الدعوة إلى الإصلاح دعوة بإحسان، ومنهج الوسطية والاعتدال في الإصلاح هو فهم لهذا المعنى. وهو المعنى الذي لا يمكن التغافل عنه في التعريف الاصطلاحي للإصلاح.

ثانيا- المفهوم الاصطلاحي:

نجد الدكتور محمد البهي يحدد مفهومه للإصلاح بقوله:" نعني (بالإصلاح الديني) في مجال الإسلام: محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك قصد التخفيف من وزنها في نفوس المسلمين".[١]

"ونعني به كذلك محاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر، حتى لا يقف مسلم

---

[١] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبية، مصر، ط٣، ١٩٦١م، ص٣٩٥.

اليوم موقف المتردّد بين أمسه وحاضره عندما يصبح في غده".[١]

"ويخرج عن نطاق ...الإصلاح الديني... تلك المحاولات الفكرية التي يدعي القائمون بها أنها إصلاح أو تجديد في الإسلام وهي في حقيقة أمرها (إخضاع) الإسلام للون معين من التفكير، أجنبي عنه، سواء في هدفه أو في ما يصدر عنه"[٢]،"(يقصد: تيار طه حسين وعلي عبد الرازق وزكي نجيب محمود)"[٣]، وهذا المفهوم للدكتور البهي نجد محمد جابر الأنصاري يقدمه مقابلا للمفهوم التجديدي للإصلاح؛ يقول:" فبمقابل ذلك المفهوم المرن للتجديد الذي طرحه إبراهيم اللّبّان عام ١٩٤٩ عندما كانت الأوضاع تطلب المزيد من التغيير والتطوير، نجد الدكتور محمد البهي عام ١٩٥٧ ... يطرح مفهوما للإصلاح الديني أكثر اهتماما بالأصول منه بالعناصر الجديدة، وأقرب إلى روح المحافظة، وإن احتفظ بالطابع التوفيقي العام الذي يتسامح مع مؤثرات الفلسفة المثالية؛ بحيث يمكن القول – على سبيل المقارنة والتقريب – إنه إذا كان المفهوم الأول للإصلاح يمثل التراث المعتزلي، فإن هذا المفهوم المحافظ يستلهم التقليد الأشعري"[٤]. وما يسميه الدكتور الأنصاري بالمفهوم المحافظ للإصلاح يمكن أن نسميه بالمفهوم المعتدل والوسطي للإصلاح، مع أننا لسنا في بحث إشكالية المصطلح وثنائيات الأضداد، وذلك لأن مفهوم الإصلاح " احتل ثقلا مصطلحيا بارزا في التاريخ المعاصر وذلك لمقاومة

---

[١] – محمد البهي، المرجع السابق، ص٣٩٥.

[٢] – المصدر نفسه، ص نفسها.

[٣] – محمد جابر الأنصاري، الفكر العربي وصراع الأضداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٠١.

[٤] – المرجع نفسه، ص نفسها.

الفساد وتقويم الاعوجاج السياسي"[١]، ويمكن القول إن المصطلح " برز في وقت مبكر من القرن العشرين على تسمية الإصلاحيين المسلمين(Islamichen Reformer) صفة المجددين، ويتعلق الأمر بمجرد اللجوء إلى مصطلح لغوي يسهل عملية التصنيف، ويستند إلى التوافقات البنيوية بين الفكرين الإسلامي والغربي المعاصرين"[٢]، وهو ما يدل على أن المصطلح ظل يشوبه الكثير من الاضطراب، ويحمل كمًّا معرفيًّا ثقيلاً.

وهذا المفهوم للإصلاح الذي طرحه الدكتور البهي نجده عند الشيخ محمد الخضر حسين؛ إلا أن رؤية الإمام الخضر حسين كانت رؤية شمولية؛ فلم يرتبط عنده مصطلح الإصلاح بالإصلاح الديني فحسب، – وإن كان يراه ركيزته الأساسية – ولذلك نجده في كتابيه " الدعوة إلى الإصلاح"[٣] و" رسائل الإصلاح"[٤] يتحدث عن الإصلاح بمفهومه الواسع، وفي أثناء ذلك يتحدث عن الإصلاح الديني كجوهر أساس لدعوته إلى الإصلاح. ولذا يمكننا أن نتساءل: ما مفهوم الإصلاح عند الشيخ محمد الخضر حسين (رحمه الله)؟، وما هي رؤيته الإصلاحية؟، وما الذي تميز به عن غيره؟.

---

[١] – انظر، محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، يونيو ٢٠٠٢م، ص٦٣.

[٢] – انظر، راينهارد شولتسه، هل توجد حداثة اسلامية، مقال منشور في مجلة الاجتهاد، بيروت، تر، محمد أحمد الزعبي، ٢٠٠٢م، ص٨٢.

[٣] – انظر، علي الرضا الحسيني، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ –٢٠١٠م

[٤] – انظر، المصدر نفسه، رسائل الإصلاح.

المحور الثاني: الرؤية الإصلاحية عند الإمام محمد الخضر حسين:

أولا- نبذة عن شخصية الإمام:

لا يمكننا في هذه العجالة أن نجمل الحديث عن شخصية الإمام محمد الخضر حسين، بما تحمله من ثراء فكري وعلمي وثقافي، ولكن حسبنا أن نذكّر القارئ ببعض الملامح البارزة فيه، وهو الغني عن التعريف.

فهو العالم المتفنن، والفقيه المتعمق، والمصلح والخطيب الحاذق، والوطني المكافح، والأديب الشاعر المتمكن، الزيتوني، الصادقي الخلدوني، الأزهري، الجزائري البسْكِريُّ نسباً[1]، التونسي مولداً ونشأة، شريف النّسبين[2]، ولد بواحة النخيل نفطة في الجنوب التونسي سنة ١٢٩٣هـ -١٨٧٣م، في عائلة علم وأدب، وشهرة وورع.

فأبوه الرجل الصالح الحسين بن علي بن عمر، - ولد بطولقة ولاية بسكرة بالجزائر، ثم هاجر إلى نفطة بتونس واستقر بها، وعرف بصلاحه وتقواه - وأمه حليمة السعدية ابنة الشيخ مصطفى بن عزوز، وخاله العالم الأجل محمد المكي بن

---

[1] - ذكر الدكتور علي الرضا الحسيني بأن والد الإمام وجدّه ولدا بمدينة (طولقة) ولاية (بسكرة) بالجزائر، وأنها موطن آباءه وأجداده، انظر، علي الرضا الحسيني، الرحلات، المصدر السابق، هامش ص٤٦.

[2] - أوصل نسبه بالسند إلى جده رسول الله صلى الله عليه وسلم بن أخيه الدكتور علي الرضا الحسيني، انظر، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، ص١٤. وانظر، أحمد رشيق بكيني، مقال له بعنوان محمد الخضر حسين الجزائري حياته وآثاره، مجلة منبر الإمام مالك بن أنس، تصدر عن الزاوية الحملاوية، الجزائر، العدد٤، ٢٠٠٢م، نقلا عن، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، ص٤٥٨.

عزوز، فاجتمع في الإمام العلم والأدب من جهة أبيه، ومن جهة أخواله، وكان لذلك أثرا كبيرا في تكوين شخصيته .[١]

حفظ القرآن على يد شيخه عبد الحفيظ اللموشي، وكان لخاله العلامة محمد المكي بن عزوز دورا بارزا في تكوينه العلمي والفكري. وفي سن الثالثة عشر رحل إلى تونس، وانتسب لجامع الزيتونة، وتخرج منه بشهادة التطويع سنة ١٣١٦هـ، بعدما نهل من العلوم على يد مشايخه، ومنهم: محمد البشير الفورتي، ومحمد الشريف، وأحمد بوخريص، ومحمد النجار، وعمر بن الشيخ، وسالم بوحاجب وغيرهم كثير، ليبدأ بعدها مرحلة الرحلة، فقد اشتهر الإمام بحب للترحال، فمن تونس إلى دمشق؛ حيث برز نشاطه العلمي، ووثق علاقاته مع علمائها ومفكريها وأدبائها، فحصل على عضوية المجمع العلمي العربي، والتدريس في المدرسة السلطانية، والمسجد الأموي، ومحاضراته في النوادي الأدبية.[٢]

وفي معتقل جمال باشا عاش الإمام حياة السجن، وبه جادت قريحته عن رقّة شعرية، ومن جميل شعره، قوله:[٣]

غَلَّ ذَا الحَبْسُ يَدِي عَنْ قَلَمٍ ... كَانَ لَا يَصْحُو عَنِ الطِّرْسِ فَنَامَا
هَلْ يَذُودُ الغُمْضَ عَنْ مُقْلَتِهِ ... أَوْ يُلَاقِي بَعْدَهُ المَوْتَ الزُّؤَامَا
أَنَا لَوْ لَا هِمَّةٌ تَحْدُو إِلَى ... خِدْمَةِ الإِسْلَامِ آثَرْتُ الحِمَامَا

---

[١] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، تصدير الموسوعة، ص١١ وما بعدها. وانظر، محمد عبد المنعم خفاجي، علي علي صبح، الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٣، دت، ج٢، ص٢٥٣ وما بعدها.

[٢] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، تصدير الموسوعة، ص ١٣ وما بعدها.

[٣] – انظر، المصدر نفسه، ص١٦.

ورحل إلى الآستانة ثم إلى ألمانيا، وبها تعلم اللغة الألمانية، ودرس الكيمياء وعلوم الطبيعة على يد المستشرق الألماني "هاردر"، وقد دوّن هذه الرحلة في كتابه "مشاهد برلين". وبعدها كانت رحلته إلى القاهرة، حيث استقر وبها عُرِف واشتهر، قال عنها الإمام الطاهر بن عاشور (رحمه الله)، " مرحلة المجد الثقافي والشهرة العلمية"، حيث وصل فيها الإمام إلى أعلى المراتب العلمية، وهي مشيخته للأزهر.

كانت حياته رحمه الله حياة علم وجهاد؛ فكان خير مدافع عن الإسلام، يشهد لذلك مساهماته الفعّالة في نشر الوعي والعلم في المجتمعات العربية والإسلامية، ودفعها للمطالبة بانعتاقها وحريتها، ومن مساهماته الفعلية؛ تأسيسه للمجلات والصحف، ومنها "نور الإسلام" و"الهداية الإسلامية" و"لواء الإسلام". وتأسيسه للجمعيات، ومنها: جمعية الشبان المسلمين، جمعية الهداية الإسلامية، جمعية تعاون جاليات إفريقية الشمالية، جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، وكل ذلك يظهر الدور الإصلاحي البارز الذي لعبه الإمام.

كان رحمه الله يُضرب به المثل في العفة والعفاف، وكثيرا ما كان يقول " يكفيني كوبا من اللبن وكسرة خبز ... وعلى الدنيا العفاء"، واشتهر بصلابته في الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، ومواقفه في ذلك كثيرة، وهو الذي يضع استقالته دائما في جيبه، ويقول لمدير مكتبه: " إذا رأيتني ضعفت في موقف من المواقف فقدم استقالتي نيابة عني"، فلم يكن أسير منصب، وقد استقال من مشيخة الأزهر في السابع من يناير ١٩٥٤م[١]. ذكره رجال العلم والفكر بالثناء والفضل،

[١] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، تصدير الموسوعة، ص١٦ وما بعدها.

نذكر منها ما قاله د.عبد الحليم محمود: " مؤمن صادق الإيمان، ومجاهد مناضل، جاهد في صفوف الوطنيين، حتى حكم عليه بالإعدام، وجاء إلى مصر عالما ثبتا فقيها لغويا أديبا كاتبا، ولقد أسهم في الحركة الإسلامية والفكرية بنصيب وافر، فلقد كان عالما تفرغ للعلم لم يشغله عنه شاغل من شواغل الدنيا أو الجاه أو السلطان، وحينما تولى مشيخة الأزهر لم يغير شيئا من عاداته فلم يهتم بالمنصب، واستقالته كانت دائما في جيبه، وكان يقول: " إن الأزهر أمانة في عنقي أسلّمها – حين أسلمها – ... موقورة كاملة وإذا لم يتأتَّ أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يديَّ ... فلا أقلَّ من أن لا يحصل له نقص"[1]، وظل الإمام على ما عُهد عليه، من مواقف ثابتة، ودعوة وإصلاح، إلى أن توفاه الله عز وجل في الثالث عشر من رجب ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.[2]

ثانيا- أقوال بعض العلماء والمفكرين في جهوده الإصلاحية:

قبل أن نستشف رؤيته إلى الإصلاح، نرصد بعض الأقوال التي أثنت على جهوده الإصلاحية، ومنها ما قاله الإمام محمد الفاضل بن عاشور في حديثه عن النهضة الإصلاحية بتونس، قال: " فكان ذلك الشهاب الثاقب الذي متّن أركان النهضة الإصلاحية، هو رجل الهداية، وصاحب السعادة، الشيخ الخضر حسين، الذي لو كان للنهضة العلمية والأدبية بتونس في القرن الرابع عشر أن تتمثل إنسانا ناطقا، لما كانت إلا إيّاه، وهو الذي طافت في شخصه أرجاء البلاد الشرقية،

---

[1] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، ص١٦٣. وانظر، محمد عبد المنعم خفاجي، علي علي صبح، المرجع السابق، ص٢٥٧.

[2] – انظر، محمد عبد المنعم خفاجي، علي علي صبح، المرجع السابق، ص٢٥٩. وانظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، تصدير الموسوعة، ص٣٣.

حتى احتلّت في عِطْفيه أسمى مقام علمي في الشرق الإسلامي، وهو مقام شيخ الأزهر الشريف"[1]. وقال عنه الدكتور محمود حمدي زقزوق ما نصه: " لقد كان الشيخ صاحب غيرة دينية، ونزعة إصلاحية معتدلة، تجلت في مقالاته وبحوثه ومؤلفاته، وقد اهتم في مقالاته العديدة التي جمعت فيما بعد في كتابه (رسائل الإصلاح) بمجالات الدين والأخلاق والاجتماع، واهتم بصفة خاصة بالميدان الأخلاقي، فركز على الخصال التي يجب أن يتحلى بها الفرد، وبخاصة العالِم، وما يجب أن تتحلى به الأمة حتى تسلم من التفكك والانحلال" .[2]

ثالثا- تعريفه للإصلاح:

قبل أن نذكر تعريف الإمام للإصلاح، ننوه بأن بعض الدارسين[3] صنف التيارات الإصلاحية إلى ثلاثة تيارات، وجعل الإمام محمد الخضر حسين في التيار الذي يهدف إلى "تجديد الفكر الديني" وإلى نشر التعليم والتربية؛ باعتبار أن نشر التعليم والتربية هو خطوة أساسية أولى إلى نشر الوعي والتقدم، والخروج من التخلف بصفة عامة، ولذاك نجد الإمام يعرف الإصلاح بأنه: " العمل على أن تكون الثقافة الإسلامية الصحيحة هي السائدة في الأمة"[4]، والذي يتعمق في دلالات هذا التعريف يجد أن الإمام قد حدد الإصلاح برؤية شمولية، كما حدد ركائز الإصلاح،

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين، ص٢٥٠.

[2] – المصدر نفسه، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، ص١٥٧.

[3] – انظر، الحبيب الجنحاني، مقال له بعنوان: الفكر الإصلاحي ومشاريع التحديث، ألقاه في ندوة حول الإمام محمد الخضر حسين، تونس، نقلا عن، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، إصلاح المجتمع الإسلامي في تونس، ص١٠٣.

[4] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الهداية الإسلامية، ص١١٨.

فقد ذكر في التعريف:

– العمل، وهو يشير بأنه لا إصلاح بدون عمل، وأن النظريات الإصلاحية إذا لم تعرف طريقها للتطبيق، فلا فائدة ترجى منها.

– الثقافة: وهي مصطلح شامل وواسع، كأنّه يشير إلى أن ما يدخل في دائرة الثقافة؛ فإن الإصلاح يشمله، إلا أنه جعل لذلك ضابطا؛ وهو ألاّ يكون مناقضا لمبادئ الإسلام، واختار مصطلح الثقافة الإسلامية، ولم يقل الإمام الثقافة الدينية، وذلك حتى لا يُحمل مدلولها على تعصب، أو قطيعة مع الآخر أو مع العقل والعلم...، ويؤكد على ذلك بقوله:

– الصّحيحة: وهي إشارة إلى أن طريق الإصلاح؛ هو طريق العلم والعقل، ودعوة إلى تمحيص الثقافة الإسلامية، ودَحْض كل دخيل يشوّهها؛ بمخالفته للعلم والعقل. ولذلك نجده يؤكد على ذلك بقوله: " وبهذا تكون الأمة بمن فيها من رجال الدولة سائرة في سياستها وسائر شؤونها الاجتماعية على ما يلائم هذه الثقافة التي هي مطلع كل عزة وسعادة"[١]، وهو ما أكد عليه من قبل الإمام محمد عبده بقوله: " إننا نريد تصحيح الاعتقاد، وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين، حتى إذا سلمت العقائد من البدع تبعتها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب، واستقامت أحوال الأفراد، واستنارت بصائرهم بالعلوم الحقيقية – دينية ودنيوية – وتهذيب أخلاقهم بالملكات السليمة، وسرى

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الهداية الإسلامية، ص١١٨.

الإصلاح منهم إلى الأمة جمعاء".[1]

رابعا- حاجة الأمة إلى الدعوة للإصلاح:

أكّد الإمام (رحمه الله) على حاجة الأمة إلى الدعوة إلى الإصلاح، وذاك لأن الأنظار تقصر عن رؤية الحقيقة كاملة، لاختلاف عقول الناس، وما يعترضهم من عوارض الأوهام والملذات... ، ولذلك تشتد ضرورة الناس إلى الإصلاح، وهي الحكمة في مبعث الرسل عليهم السلام ، يقول في كتابه "الدعوة إلى الإصلاح": "ولما كانت الأنظار تقصر والأهواء تتغلب، والعقول تتفاوت وتختلف، اشتدت حاجة الناس إلى مصلح إلهيّ يطلق نفوسهم من قيود الأوهام، ويهديهم إلى ما فيه خير، وينذرهم عاقبة الانهماك في اللذائذ، ويعلمهم كيف يتحامون الفتنة إذا اختلفوا..."[2]، وكان للإسلام في ذلك أكبر مزيّة وأوفر حظ.

وبين رحمه الله حاجة الأمة إلى الدعوة للإصلاح لصدّ هجمات الضالين والمعاندين، ومن يحاولون إثارة الفتن، وإطلاق النفوس من قيد الأدب والعفاف، وقد تهيّأ لهم في هذا العصر من وسائل الدعاية ما لم يتهيّأ لإخوانهم الغابرين، فمن نوادٍ تفتح وصحفٍ تنشر وجمعياتٍ تعقد وأموالٍ تنفق وجاهٍ يبذل، وسلطاتٍ تمالئ وتستبد. كل هذا في رأي الشيخ الخضر يجعل الدعوة الرشيدة إلى الإصلاح من أفضل الواجبات، وأحمد المساعي، وهذا ما يقضي على حكماء الأمة بأن يُعدّوا للدعوة ما استطاعوا من قوة، ويكسروا شوكة هذه النفوس المحشوة بالغواية

---

[1] – محمد عمارة، الاصلاح بالإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٥.

[2] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٠٨.

والشهوات قبل أن تبلغ أمنيتها، ولا يتوقف حدود الإصلاح عنده هنا بل يتعداه إلى طائفة الجهل بالإسلام، والذي بسببهم نزلت البدع، ومن ألسنتهم هبطت المزاعم والخرافات، ومن آرائهم دخل في الكتاب والسنة ضرب من سوء التأويل، ويتعداه أيضا إلى انقاذ النفوس الزاكية من أن تقع في حبائل أولئك الذين يضلون عن سبيل الحياة الطيبة، ولذلك فالدعوة إلى الإصلاح من أوجب الواجبات[1]؛ وهي كما يقول: " فريضة ملقاة على رقاب الأمة، لا تخلص من عهدتها حتى تؤديها طائفة على النحو الذي هو أبلغ أثرا في استجابة الدعوة وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي. والدعوة إلى الخير – كسائر فروض الكفاية – يوجه خطابها إلى الأمة بقصد إفهامهم وإعلامهم. ومناط التكليف والإلزام إنما هو طائفة يتفق أهل الحل والعقد على تعيينها، أو تتقدم إليه من تلقاء نفسها".[2]

المحور الثالث: السمات البارزة لرؤيته الإصلاحية:

إن المتتبع لحياة الشيخ الفكرية والعلمية، ودعوته إلى الإصلاح؛ ومن خلال كتاباته المستفيضة في شتى مجالات الإصلاح، تظهر لديه بعض السمات التي تميزت بها رؤيته إلى الدعوة للإصلاح، ومن أهمها:

أولا- الدعوة إلى الإصلاح دعوة علم وعقل:

في كثير من مقالاته تحدث الإمام عن أهمية العلم في نهوض الأمة، ودعوته إلى أن تكون الدعوة إلى الإصلاح مبنية على العلم والعقل، وذلك لأنهما من صميم الشريعة، ولا تناقض بينهما وبين أحكام الشريعة، يؤكد على ذلك بقوله:"

---

[1] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٠٩.

[2] – المصدر نفسه، ص١٠.

وأما الآراء، فقد قصد الإسلام لتقويمها بطريقة عامة هي: نهيه عن التقليد، وحثه على الرجوع إلى العقل، وإقامة العلم على قاعدة الاستدلال"[١]. ويَرُدُّ على المزاعم التي تدّعي أن الإسلام لم يبعث على العلم، ويقول:" ومن هذه الطوائف الخاطئة من يزعم أن الإسلام لم يبعث الدواعي على طلب العلم. والواقع أن الإسلام قد رفع قدر العلم، ونوّه بشأن العقل، وسلك بطلاب العلم مسالك النظر والاجتهاد، وعوّدهم على نقد الآراء، وتمييز زائف الأخبار من صحيحها... وأصبحت ترى علوم الشريعة وعلوم الفلسفة المعقولة يلتقيان في النفوس المطمئنة بالإيمان".[٢]

ولذلك يرى بأن من واجبات دعاة الإصلاح نقد كل حركة تقوم بها الأمة؛ بالنقد الصحيح المبني على الدليل، يقول:" يرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الأمة؛ فينقدونها بالنظر الخالص، ويصدعون فيها بآرائهم مدعومة بالأدلة المقنعة، ولا تعدو هذه المراقبة وهذا النقد خارجين عن خطة العالِم الإسلامي، بل هما واجبان في عنقه كواجب التعليم والإفتاء"[٣]، ولتأكيد ذلك يدعو دعاة الإصلاح إلى معرفة أحوال الأمم والشعوب، وأسباب ارتقائها وعلل سقوطها، لعلهم يقتبسون منها ما يعين أمتهم، ويؤيدوا بها صواب ما تهديهم إليه بصيرتهم.[٤]

وإذا كان الإمام الخضر قد أكّد على العلم والعقل في رؤيته الإصلاحية؛ فهذا

---

[١] – المصدر نفسه، ص١٢٨.

[٢] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح ، ص٨٣.

[٣] – المصدر نفسه، رسائل الإصلاح، ص١١٨.

[٤] – انظر، المصدر نفسه، الدعوة إلى الإصلاح، ص٥٨.

لا يعني أنه أغفل دور الاستعدادات النفسية كالعاطفة والصبر والغيرة ... يضرب لنا مثلا في أن الدعوة إلى الإصلاح لا بد فيها من حضور العاطفة برجلين اتحدا بمقدار ما عندهما من العلوم الدينيّة، وأحدهما متقد حماسة، مُجِدّ في الدعوة إلى سبيل الله، متفانٍ في الذود عن حياض الشريعة، والآخر منهما خِلْو من هذه الحماسة، فلا يؤلمه أن يرى حرمة الدين منتهكة، ونفوس الناشئين عنه منصرفة، ذلك أن الأول متفقه في الدين وحصل له مع ذلك عاطفة نحوه، وأما الآخر فتلقى علوم الدين دون أن تكون إلى جانبها عاطفة نحوه. ويقول: " والغيرة الصادقة هي التي تنهض بصاحبها إلى مكافحة المبطل أو المفسد، وتقويم عوجه في تثبت وحزم. الغيرة تبعث الرجل على الجهاد في الحق بأي وسيلة استطاعها، فالرئيس الغيور يذود على الحق بما في يده من قوة، متى كان الهاجم عليه في غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة. والعالِم الغيور لا يفتأ يذب عن الحق بلسانه أو قلمه، ولا يسوقه طمع أو رهبة إلى الخمول أو الصمت، وما خمول العالِم وصمته سوى قلة الثقة بما وعد الله به أنصار الحق من فوز وحياة طيبة"[1]. ومع العاطفة والغيرة، لا بد للداعي إلى الإصلاح من الصبر والجَلَد والتحمل في سبيل النصيحة، " وكم من عالم قام في وجه الباطل، فأوذي فتجلد للأذى، وأجاب داعي التقوى متأسّياً بقوله صلى الله عليه وسلم: <اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون>".[2]

وإذا ما امتلك الداعي إلى الإصلاح قوة العزيمة والصبر؛ لم يتملكه اليأس، فلا ينظر إلى المشاكل التي تعانيها الأمة، وإلى غرق شبابها في التشبه

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق ، رسائل الإصلاح، ص١٤٧.

[2] – المصدر نفسه، ص١٢١.

بالمخالفين، وتقليدهم في عادات لا تغني من الرقي شيئا، نظر اليائس الذي ينكث من التعرض للشؤون العامة ومعالجتها، بل " يرى الأمر أهون من أن يصل بالنفوس إلى التردد في نجاح الدعوة، بلْهَ اليأس من نجاحها"[1]. ومع تأكيد الإمام الخضر على قوة العزيمة والغيرة والصبر في الدعوة إلى الإصلاح؛ فإنه نبه على خطورتها في أن توقع بالدعوة إلى الإصلاح في مسالك التسرّع والتهوّر، ودعوته إلى التعقل، والنظر إلى المآلات والمقاصد، يقول:" ولا يُعد في قلة العزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله، ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يمهد له بما يجعله مقبولا سائغا" .[2]

يتبين لنا مما سبق، أن الإمام الخضر يعمد إلى رؤية متوازنة، فدعا إلى العلم والعقل في الدعوة إلى الإصلاح، ولم يلغ دور الاستعدادات النفسية، ولكنه حذّر من أن توقع – إذا ما طغت على الدعاة – بالدعوة إلى الإصلاح، وكل ذلك يُظهر مدى فكر الإمام الخضر حسين، ورؤيته المتوازنة للدعوة إلى الإصلاح.

ثانيا- الدعوة إلى الإصلاح دعوةُ وسطيةٍ واعتدال:

ذكرنا فيما سبق أقوال بعض العلماء والمفكرين في أن الإمام الخضر حسين رحمه الله كان صاحب دعوة إصلاحية معتدلة[3]؛ تجلى ذلك في العديد من المقالات والكتب التي خلفها، أومن خلال المواقف التي عُرف بها، وإذا ما تتبعناها يظهر ذلك جليا في فكره ورؤيته إلى الدعوة للإصلاح.

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق ، رسائل الإصلاح، ص١١٩.

[2] – المصدر نفسه، ص١٤٠.

[3] – انظر، ص ص٠٩، ١٠، من هذا المقال.

الوسطية في الدعوة للإصلاح " تمثل الفطرة الإنسانية قبل أن تعرض لها وتعدو عليها عوارض وعاديات الآفات، تمثل الفطرة الإنسانية في بساطتها وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، إنها صبغة الله أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون صبغة أمة الإسلام، وأخص خصوصيات منهج الإصلاح بالإسلام"[١]، وهذه الخصوصية تنبه لها الإمام الخضر بدعوته إلى الحكمة في الدعوة إلى الإصلاح، فنجده يعلق على الآية الكريمة : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن} (النحل: ١٢٥) بقوله: " ومن ينظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم يجده يأخذ في الدعوة بالطرق التي تجعلها مألوفة للعقول، قريبة من القلوب، فكان يعرضها في لين من القول، ويخاطب كل قوم بما يفهمون، ولا يخاطب أحدا إلا بما يحتمله عقله، وينظر إلى النفوس وما يلابسها من علل وشبهات، ويضع كلامه موضع الدواء الناجع"[٢]، ويقول:" ولقد تعلم الناس من القرآن والسيرة النبوية كيف يدعون إلى الدين والإصلاح عن طريق الحكمة، وكانت هذه الحكمة من وسائل نجاح الدعوة، وذهابها إلى أقصى الشرق والغرب".[٣]

إن الوسطية والاعتدال هما الضامن – بحسب الرؤية الإسلامية – لنجاح الدعوة إلى الإصلاح، وهي " الشرط في نقاء إسلامية المنهاج الإسلامي في الإصلاح لأنها هي الجامعة بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتناقضة، التي

---

[١] – محمد عمارة، المرجع السابق، ص٤٢.

[٢] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص١٣٨.

[٣] – المصدر نفسه، ص١٣٩.

تمثل غلو الإفراط والتفريط"[1]، وقد صرح الإمام الخضر في كثير من المناسبات عن نهجه لهذه الرؤية، وتبنيه لهذا الخيار، ففي جوابه لسؤال من جريد الأهرام عن بعض الاختلافات بين طلاب الأزهر يقول:" أنا أميل بطبعي إلى الخير والسلام، ولم أكن في يوم من أيام حياتي متحزّباً، ولا متعصّباً، بل كنت دائما أكره التعصب والتحزب، وأوثر أن آخذ الأمور باللين والرفق والهوادة، وأنت تعلم أن شيخ الأزهر هو الذي يمثل الأزهر، ودعوة الأزهر إنما تقوم على تحقيق معاني الخير والتواد والتحاب بين الناس أجمعين... ولذلك كان طبيعيا أن يكونوا عنوانا للخير والمحب والسلام، وأن يكونوا إخوانا متحابين في الله، متساندين لتكون لدعوتهم صداها وأثرها في التوجيه والإرشاد في مختلف الأمم الإسلامية".[2]

والدعوة إلى الإصلاح عند الإمام الخضر لا يكفي فيها قول الحق، ولا صدق صاحبها، ولا غيرته، ولا صبره؛ من غير أن يسلك بها طريق الحجة والبرهان، والاعتدال والإحسان، أكّد على ذلك بقوله: " فلا يكفي في دعوة الحق أن يطرق الداعي بها المجالس، ويصدع بكلمة الحق والفضيلة من غير أن يشد أزرها بالحجة، ويتخير لها الأسلوب الذي يجعلها مألوفة للعقول، خفيفة الوقع على الأسماع. وفي القرآن الكريم ما يدلكم على أن الدعوة الصادقة لا يثبت أصلها، وتمتد فروعها، وتؤتي ثمرها، إلا أن يقوم بناؤها على أساس الحجة، ويذهب بها الداعي كل مذهب حكيم، ويأخذ فيها بكل أدب جميل".[3]

---

[1] – محمد عمارة، المرجع السابق، ص٣٩.

[2] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، أحاديث في رحاب الأزهر، ص ص١١،١٠.

[3] – المصدر نفسه، محمد خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم، ص١١٨.

ثالثا- الدعوة إلى الإصلاح دعوةٌ حرّةٌ:

يعتبر الإمام الخضر حسين الحرية من أساسات الدعوة إلى الإصلاح، ولذلك نجده في الكثير من خطاباته ومقالاته يدعو إلى استنهاض الأمة من أجل هذه الفضيلة – كما كان يسميها – وهي كما يعرفها:" أن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن، وعلى قرار مكين من الاطمئنان"[1]. وجعل من لوازم ذلك أن يعرف كل فرد من الأمة حدّه ولا يتجاوزه، وأن يحفظ حقوقه ولا تقهره عليه يد غالبة، فإن تجاوز الفرد حدّه، أو سُلب حقه، فإن ذلك تعدٍّ على الحرية، والتي يضعها الإمام وسطا بينهما.

ويحدد الإمام أربع خصال تندرج تحتها، وهي:

١- معرفة الإنسان ما له وما عليه.

٢- شرف النفس وتزكيتها وتطهير نواياها من أن تعتدي على ما ليس لها بحق، وأن تنظر إلى معالي الأمور.

٣- إذعان يدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الإنصاف ويستنزله ريثما تُحرر ذمته من المطالب التي توجه إليها باستحقاق.

٤- عزة النفس التي تقود صاحبها إلى شق عصا الطاعة للباطل، ويدمغ بها من يسوم عنقه سوء الضيم والاضطهاد.[2]

والحرية عند الإمام الخضر تقوم على أساس التربية والتعليم، يقول: "الأساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم، فيتأكد على

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، محاضرات إسلامية، ص١٢.

[2] – انظر، المصدر نفسه، ص١٣.

الحكومة التي تنظر إلى فضيلة الحرية بعين الاحترام، أن تسعى جهدها في تهذيب أخلاق الأمة، وتنوير عقولهم بالتعليمات الصحيحة قبل كل حساب"[١]، وللحرية قاعدتين عظيمتين هما: المشورة والمساواة، يؤكد على ذلك الإمام بقوله:" يقوم فسطاط الحرية على قاعدتين عظيمتين هما: المشورة والمساواة. بالمشورة تتميز الحقوق، وبالمساواة ينتظم إجراؤها، ويطّرد نفاذها، وكل واحدة من هاتين القاعدتين رفع الإسلام سمكها وسوّاها".[٢]

من أجل ذلك كله، قاس الإمام حياة الأمة بما تمتلكه من حرية في الدعوة إلى الإصلاح، وإذا ما كانت الدعوة حرة؛ فإن الأمة ستجد ضالتها نحو حياة العزة، وهو دليل على استقلال إرادتها، وكرامة أفرادها، لنستمع إلى الأمام وهو يؤصل هذه المعاني بقوله:" أطيب الأمم حياة: تجد الدعوةُ إلى الحق بينها طرقا معبدة، فتذهب مطلقة العنان دون أن تعترضها عقبات. وإنما تملك الدعوة حريتها في ظلال دولة تسير في سياستها على رشد، ولا غاية لها إلا أن ترعى أمة عزيزة الجانب، نبيهة القدر"[٣]. وحرية الدعوة للإصلاح دليل حرية الشعب " فإذا رأيت الدعوة تغشى كل موطن، وتطرق كل سمع، فاعلم أن الحرية باسطة أجنحتها، وأن الشعب سائر إلى حياة راضية".[٤]

وإذا ما أريد للأمة خير فتح باب الحرية أمام الدعوة للإصلاح، وهو خيار المخلصين من أولي الأمر، فهم يدركون" أن لا فلاح لأمّة إلاّ بالدعوة، فينظرون إلى

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق ، محاضرات إسلامية، ص١٣.

[٢] – المصدر نفسه، ص١٤.

[٣] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٦٩.

[٤] – المصدر نفسه، ص نفسها.

دعاة الإصلاح بارتياح وإكبار، ويدرك الدعاة إلى الإصلاح أن فتح باب الحرية في وجه الدعوة شأن الدولة التي تريد بأمتها خيرا، فتألفها قلوبهم. ويبذلون في تنبيهها لوجوه الإصلاح جهدهم"[1]، وإذا ما وصلت الدعوة مجالس الرؤساء، ويستمعون إليها، ويعملون على إنفاذها؛ ندرك جليا أن الدعاة إلى الحق في يقظة وعزم، وتفهم من عدم مقابلتها بالامتعاض، أنّ للرؤساء صدور فسيحة، وبصائر سليمة، وإذا قيض الله لأمة دعاة لا تأخذهم غفلة ولا جبن، ورؤساء يسمعون دعوة الحق، فلا تأخذهم العزة بالإثم، فهي الأمة بالغة الذروة من السعادة، أو السائرة إلى الذروة بخطا سريعة واسعة".[2]

رابعا- الدعوة إلى الإصلاح دعوةٌ متكاملة:

ينظر الإمام الخضر حسين إلى الدعوة للإصلاح على أنها دعوة متكاملة؛ وذلك لأن الإصلاح ينبغي – إذا ما أريد له النجاح – أن يكون تغييرا شاملا، ويشمل جميع مناحي الحياة؛ فـــ" الإصلاح الإسلامي ليس تغييرا جزئيا ولا سطحيا، وإنما هو تغيير شامل وعميق، يبدأ من الجذور ويمتد إلى مسائل مناحي الحياة، بل إنه لا يقف عند ميادين الحياة الدنيا وإنما يجعل من صلاح الدنيا السبيل إلى الصلاح والسعادة فيما وراء هذه الحياة الدنيا"[3]، وهذه هي الرؤية التي دعا إليها الإمام الخضر حسين في كثير من مقالاته، وأكد على أن الأمة لا تعرف طريقها إلى التقدم والرقي إذا لم يكن الإصلاح فيها شاملا، ومتكاملا، وأن تتعاون

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٦٩.

[2] – المصدر نفسه، ص٧٠.

[3] – محمد عمارة، المرجع السابق، ص١٧.

فيه علوم الشريعة مع العلوم الأخرى، وأكّد على أن الدعوة لا تنهض بالأمة إلا أن تأتي على كلّ علّة، فتصف دوائها، أدركنا شدة الحاجة إلى أن يكون المتصدّي للدعوة جماعة مؤلفة من رجال رسخوا في علوم الشريعة، وألمّوا بالعلوم العمرانية، والشؤون المدنية، يجتمعون فيبحثون، ويسيرون تحت راية الإخلاص والإنصاف، ولو تقارب ما بين من درسوا علوم الإسلام، ومن درسوا العلوم الأخرى من المومنين، وتعاونوا على الدعوة، لأقاموها على وجهها المتين، وشادوا من قوة إيمان الأمة، وشرف أخلاقها، وسعة معارفها، وشدة عزمها حصونا تتساقط دونها مكايد عدوها خاسئة".[١]

وإذا كانت الأمة تحتاج إلى وسائل شتى لاستمراريتها وبقائها من العلوم الكونية؛ فإن الدعوة إليها تصبح من أوجب الواجبات، وقد أثبت العلم الحديث أن لا تطور منشود إلا بمثل هذه العلوم، كالطبيعيات والرياضيات ومختلف الصنائع وغيرها، ولذلك نظر الإمام الخضر حسين إلى أن تحقيق هذه العلوم من قبيل الدعوة إلى الإصلاح، وهو مما تدعو الحكمة بالمسابقة إليه، يقول: "وحيث كانت الأمة تفتقر في بقائها وطيب حياتها وحماية ذمارها إلى وسائل شتى كالصنائع والعلوم النظرية من نحو الطبيعيات والرياضيات، أصبحت هذه الوسائل من قبيل ما تجب الدعوة إليه؛ فإن عظم مصلحتها، والخطر الذي ينشأ من إهمالها دليل واضح على أنها داخلة فيما تأمرنا حكمة الله بالمسابقة إليه".[٢]

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٥٨.

[٢] – المصدر نفسه، ص٥٧.

المحور الرابع: أسس الإصلاح عند الإمام محمد الخضر حسين:

من خلال تتبعنا لكتابات الإمام، يظهر لنا أنه بنى رؤيته الإصلاحية على بعض الأسس، والتي جعلها شرطا لنجاح الدعوة إلى الإصلاح؛ فدعا إلى الإصلاح الديني، وذلك من خلال تبني المنهج الإسلامي في الدعوة، ودعا إلى الإصلاح التربوي، والذي من خلاله يُبنى الجيل المسلم على أساس التربية والتعليم، ودعا كذلك إلى الإصلاح الاجتماعي، والذي يقوم أساسا على إصلاح الفرد؛ من خلال المرجعية الإسلامية.

أولا- الإصلاح الديني:

نظر الإمام الخضر إلى أن الإصلاح المنشود هو الذي دعا إليه الدين الحنيف، وذلك لأنه جاء بشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وجاءت بالمنهج الحق الذي يسير بالأمة في طريق الإصلاح بوسطية واعتدال في جميع شؤون حياتها، يؤكد على ذلك بقوله:" إن الإصلاح الذي يرفع الأمة إلى منزلة تُجلّها القلوب، وتهابها العيون، وتجعلها في مأمن من أن تتداعى على أركانها، وتسقط إلى خمول واستكانة، هو الإصلاح الذي يرشد إليه الدين الحق، ذلك أن الدين الحق يسير بالناس على الطريقة الوسطى، فلا يأمر بما فيه حرج، كما يفعل بعض الدعاة المتنطعين قال تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(الحج:٧٨) ولا يجاري أهواء الناس ابتغاء مرضاتهم كما يفعل بعض الدعاة المتملقين، قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} (المومنون:٧١)".[١]

وذهب الإمام إلى أن الإصلاح الديني يشمل جميع مناحي الحياة الفردية

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٥٩.

والجماعية، وأكّد بأنّ الإصلاح المعصوم قد عالج حاجات الاجتماع بحكمة وحزم؛ فأصلح النفوس بالعقائد السليمة وزان ذلك بالأخلاق، وشرع العبادات ليقيم العلاقة بين العبد وربه، واهتم بجانب حياة الإنسان مع الجماعة؛ فعنى من أجل ذلك بحقوق ذوي القربى، فقرر النفقات، والمواريث في نُظِم محْكَمة، وحرّض على إسعادهم، والبرّ بهم من طرق المروءة وكرم الأخلاق. وحاط الزوجية بحقوق تجعل الزوجين في ألفة ومحبة، وعيشة راضية، وأصلح رابطة الجوار، وأكّد على أن هذه الصلات الصغيرة تقود إلى إصلاح رابطة الإيمان ثم رابطة الإنسانية كلّها.

وجعل للمعاملات المالية نُظُما عادلة، وللجنايات عقوبات زاجرة، فصان الأعراض والأموال والأنساب. وأصلح الغذاء؛ فأذن في الطيّبات من الرزق، وحرم الضار بالأبدان، والعقول. ووضع الزينة مكانها اللائق؛ فأذن فيها، وأنكر على من يتعمّد اجتنابها بدعوى الورع، ولكنه نهى عن الإسراف فيها.

وبين أن الدين لم يغفل عن السياسة الخارجية، واتجه فيها بين الرفق والحزم؛ فأذن في الحرب متى كان الشرّ في السلم، وأذن في السلم متى كان الشرّ في الحرب، وقرّر للحرب آدابا تخفف من ويلاتها، وتجعلها كالدّواء لا يتجاوز المقدار الذي يحصل به الشفاء، وأذن في عقد المعاهدات على وفق المصلحة العامة. وأرشد إلى التسامح مع المخالفين غير المحاربين؛ تسامحا يرضي الإنسانية دون أن يبخس حقا، أو أن ينصر باطلا. وبين الإمام أن هذه الآداب لا بد لها من هيئة تشرف عليها، وتردّ من يحاول الخروج عليها، في إشارة إلى السلطة القضائية والتنفيذية، ودعا إلى أن تقوم سياستها على أساس الشورى والتسوية

بين أفراد الأمة وجماعاتها .[١]

وإذا ما سارت الأمة على هذه الآداب؛ فإنها تؤسس لدعوة إصلاحية مثمرة، وذلك لأن " سبيل الدين لمريد الإصلاح سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء، ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا"[٢]، ولذلك أكّد الإمام الخضر حسين أن الدين تناول جميع نواحي الإصلاح، وهو أيسر الطرق، وأسهلها، للوصول إلى نهضة الأمة، يقول: " تناول الدين بنصوصه وأصوله نواحي الإصلاح أينما كانت، وليس من شك في أن اتباع الناس لهدايته أقرب، وسيرهم على ما يرسمه من الخطط أيسر، فإذا نحن دعونا إلى الإصلاح بحكمته، وذكرناهم بموعظته، أمنّا ما يزلّ فيه الدعاة من عثرات، وكفينا ما يواجهون به من إعراض وعصيان، ذلك دين الله لا يدعو إلا إلى الخير، ولا ينهى إلا عن سوء".[٣]

ثانيا- الإصلاح التربوي:

وهو من الأسس التي بنى عليها الإمام الخضر رؤيته الإصلاحية؛ فقد كان مولعا بإصلاح التعليم منذ كان طالبا، وصولا إلى ترأسه لمشيخة الأزهر، فقد جاء في مقال للدكتور محمد مواعدة حول الإمام، بأن " هذا العلم الإسلامي المتميز كان منشغلا في الميدان التربوي بإصلاح التعليم الزيتوني منذ حياته الطلابية، وبعد

---

[١] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٦٠، ٦١، ٦٢.

[٢] – محمد عمارة، المرجع السابق، ص٣٤.

[٣] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٦٤.

تخرجه من الجامع الأعظم كان من بين شيوخ الزيتونة، وعلمائها العاملين على تطوير التعليم مضمونا ومنهجا".[١]

ومن خلال التتبع لكتاباته في ميدان التعليم، تبرز رؤيته للإصلاح التربوي، والتي بناها على أساس التربية الدينية، وهي عنده مجالان أساسيان هما: "الإصلاح التربوي الأخلاقي، والإصلاح التربوي العقلي"[٢]، وبدأ برصد عيوب التعليم، والتي في مجملها أرجعها إلى إهمال التربية الدينية، ويعتبر ذلك "نتيجة مباشرة لإهمالنا هذه الناحية الحصينة في تكوين الطفل، وإعداد التلميذ وتثقيف النشء تثقيفا إسلاميا يكسبه المناعة ضد هذه الجراثيم المتفشية التي تحيط به إحاطة الظلام بالليل".[٣]

وذكر الإمام عيوب التعليم الديني، والتي نجملها في النقاط الآتية:[٤]

– أن التعليم الديني أصبح اسما بلا مسمى، وجسما بلا روح، في إشارة إلى ضعف المحتوى؛ فما يقدم عبارة عن معلومات قليلة وهزيلة، ولا تتناول رد الشبهات، والبدع والخرافات؛ مما ترك أثرا سلبيا في نفس التلميذ، وأخلاقه وأفكاره.

---

[١] – مقال منشور في جريدة الصباح التونسية، بعنوان، محمد الخصر حسين شيخ الأزهر السابق، بتاريخ ٢٤ فيفري ٢٠٠٨م، انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ، ص١٠٧.

[٢] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي، ص١٠٨.

[٣] – المصدر نفسه، ص١٨٥.

[٤] – انظر، المصدر نفسه، الدعوة إلى الإصلاح، ص ١٨٦ وما بعدها، ص٢٠٢ وما بعدها.

– أن التعليم الديني أصبح مادة إضافية، لا وزن لها، ولا تأثير لها في نجاح التلميذ أو رسوبه؛ مما زاد التلميذ في عدم اهتمامه بالتعليم الديني، وهو ما ينجرّ عنه انعكاسات تؤثر في بناء شخصيته.

– عدم تقرير المادة في جميع الأطوار، وخاصة في المراحل التي يحتاج التلميذ فيها إلى هذه المادة؛ وذلك في مرحلة المراهقة، وهو ما يحتاج التلميذ فيها إلى تقوية الوازع الخلقي، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالدين.

– عدم الاهتمام بمادة القرآن الكريم، وما في ذلك من انعكاسات خطيرة على التنشئة الأخلاقية للتلاميذ.

– عدم الاهتمام بتدريس التاريخ الإسلامي، وسيرة عظماء الإسلام، وخاصة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

– عدم وجود الرقابة الدينية، وعدم الردع لكل من يسيء إلى الإسلام، أو الاخلاق، أو الاستهانة بشعائر الدين كالصلاة والصيام ...

– نقده للطرق التقليدية في التعليم، سواء من حيث ما يقدم من معلومات وما يتلبس بها من بدع وخرافات، أو من خلال الاعتماد على عقوبات بدنية قاسية.

كل هذه المعوقات التي ذكرها الإمام تقف حاجزا أمام النجاح التربوي، والذي لا يمكن أن يصل إلى غاياته المنشودة؛ ما لم يقم على أساس الدين، وإحياء الوازع الأخلاقي، يقول:" ويكمن النجاح التربوي في إحياء الضمير وقوة الوازع ولا يتأتى ذلك إلا بالدين والتربية الإسلامية الصادقة"[1]، وبذلك يتحقق المقصد من الإصلاح التعليمي؛ وهو" إعداد شبان نافعين يواجهون الحياة العملية بضمير

---

[1] – انظر، علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص١٨٦.

وصبر، ويحلون مشاكل الوجود بحكمة وشجاعة، ويَصلحون لأن تتكئ الأمة عليهم في المهمات والنوازل، ولن يكون شيء من هذا إلا بتربية النفوس على آداب الإسلام، وإشرابها من عهد الصغر ثقافة الإسلام".[١]

ولذلك حدد رؤيته للإصلاح التربوي، بدعوته إلى:[٢]

– أن يكون تعليم الدين عاما؛ يشمل كل الاطوار التعليمية، وبمختلف التخصصات.

– أن يقرر تعليم الدين كمادة أساسية.

– تعديل مناهج التعليم تعديلا يتناسب مع حال التلاميذ، سواء في سنهم، أو في تفكيرهم، وأن تناقش أمامهم ما يثار من بدع وخرافات؛ والرد عليها بالحجة والبيان.

– أن يكون التعليم عمليا، يُحملون فيه على القيام بالشعائر الدينية؛ ولذلك دعا إلى إقامة الصلاة بالمدارس، وأن تُهيَّأ الوسائل اللازمة لذلك؛ فالصلاة درس عملي يؤثر على التلاميذ في أخلاقهم وسلوكهم، وفي سائر أحوالهم.

– إعادة الاعتبار لمادة القرآن الكريم، وفي جميع الأطوار التعليمية، وما أحوج الأمة اليوم إلى أن يكون التلميذ والأستاذ والطبيب والمحامي والتاجر والعامل... متشبعا بالقرآن، متخلقا بأخلاقه.

– يجب العناية بتدريس التاريخ الإسلامي، دراسة حية واسعة، تغرس في نفس الناشئة الاعتزاز بالدين، والاعتداد بسلف الأمة، والإجلال لأبطالها.

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٢٠٥.

[٢] – انظر، المصدر نفسه، ص١٩٠ وما بعدها،ص٢٠٣ وما بعدها.

– أن يُسند التعليم إلى المتخصصين، خاصة تعليم الإسلام وتاريخه، فمن العبث أن تسند دراسته إلى من لا يؤمنون بعظمته.

ولا يظن القارئ أن هذه الشروط التي حددها الإمام الخضر للإصلاح التربوي والتي ترتكز أساسا على التعليم الديني، وإعادة إحياء الوازع الاخلاقي في نفوس أبناء الأمة؛ هي رؤية قاصرة على شق التعليم الديني فقط، وإهمال العلوم المادية والطبيعية؛ بل أكّد كذلك في أكثر من مناسبة على أهمية العلوم المادية في نهضة الأمة، وردّ التوهم بأن الدين لا يدعو إليها، يقول:" ومن الظن الخاطئ ما تخطه بعض الأقلام من أن هذه العلوم المادية قد تشد أزر الإلحاد، وتجعله يظهر على دين كدين الإسلام، فإن النظر الصحيح في هذه العلوم لم يأت بما يؤازر الإلحاد، وليس في نصوص الدين الإسلامي وأصوله ما يتعارض مع العلم الصحيح".[١]

كما أكد على دعوة الإسلام للأمة أن تبتغي العلوم أينما كانت، وأن ينظموا شؤونهم الحيوية على وفق ما علموا، فإن الواجب على الأمة أن تقوم طائفة منها على تعلم العلوم الكونية، وقد ظهر من نتائجها ما وصلت إليه الأمم المتقدمة، وحلي بالأمة أن تصل إلى هذه النتائج، فإن الله لا يرضى لها إلا أن تعيش كريمة عزيزة.

ثالثا- الإصلاح الاجتماعي:

نظر الإمام الخضر إلى إصلاح المجتمع كأساسٍ للدّعوة إلى إصلاح الأمة، وتقوم رؤيته للإصلاح الاجتماعي على أساس الدين؛ والذي هو وضع

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص ص٨٣، ٨٤.

إلهي، يُشعِر الفرد مهابة؛ فيخضع لأوامره في السر والعلانية، والدين هو المنظم لشؤون الفرد والمجتمع، تنظيم تعجز عنه النظم البشرية، ولذلك يدعو لأن تكون التشريعات والقوانين الاجتماعية من الشريعة الإسلامية، يقول:" وإذا كان الدين الحق هو المنظم لشؤون الأفراد والجماعات على وجه تقصر عنه النظم البشرية، فمن واجب الحكومات الاسلامية متى أرادت الخير لشعوبها، أن تبذل ما لديها من عناية في نشر تعاليم الإسلام بين سائر الطبقات، وأن تستمد قوانينها من تشريعه الواسع النطاق".[١]

وأكّد الإمام على أن الإسلام لم يقتصر على إصلاح العقائد فقط؛ بل شملت تشريعاته جميع نواحي الحياة الفردية والاجتماعية، ووضع لها أطرا مفصّلة، أو أصولا عامة، وسعى إلى بناء الفرد المسلم المتخلق بأخلاق الإسلام، وذلك هو سبيل الأمة إلى النهضة، يقول:" إن الأمم الناهضة تحتاج نفوسها إلى الغذاء الجيد؛ من الأخلاق والسجايا؛ لتقوى به على مواصلة النهوض إلى المعالي" .[٢]

ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية المنشودة؛ يضع الإمام الخضر للإصلاح الاجتماعي أربعة ركائز يقوم عليها، ويسميها "أصول الإصلاح الاجتماعي"[٣]، وهي:

١- الارتواء من مناهل العرفان.

٢- الرسوخ في مكارم الاخلاق.

٣- الاعتصام بحبل الائتلاف والاتحاد.

---

[١] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، رسائل الإصلاح، ص٦١.

[٢]– المصدر نفسه، أحاديث في رحاب الأزهر، ص٧٨.

[٣]– انظر، المصدر نفسه، الدعوة إلى الإصلاح، ص٧٣ وما بعدها.

٤- توفير الايدي على العمل لكسب الأرزاق.

وبيّن بأن "هذه الوسائل الأربع إنما تعود على النفس بطمأنينة، وتذيقها طعم حياة لذيذة متى سبقها إيمان يضرب بأشعته كل سبيل"[١]. ويقول:" تفاضل الأمم في مراقي العزة والقوة، يجري على قدر تفاوتها في الايمان والعلم وكرم السجايا، ومتانة الاتحاد، والسعي لاكتساب الطيّب من الرزق"[٢]. وجعل الإمام الخضر الإيمان شرطا لهذه الأصول؛ وذلك لما له من فضل في تقوية صلات الألفة والمحبة، وتهذيب النفوس، وانتظام الأمن، والدعوة إلى العلم والعمل.

وكون الائتلاف والاتحاد من أصول الإصلاح الاجتماعي؛ لأنه من مقتضيات الحياة الاجتماعية، وإذا تفرقت القلوب؛ ضاعت الحياة الفردية، واختلت المصالح الوطنية. وأما العلم فإنه طريق الأمة إلى الفلاح، وتوفير أسباب الراحة في الحياة، وأكّد الإمام أن العلم لابد أن يتبعه العمل؛" فلا يحق لدارس علْم أن يعدّ نفسه في قبيل أهل ذلك العلم، إلا أن يستطيع تحقيقه في صور عملية، كما يفعل علماؤه الراسخون".[٣]

وأما الثروة فعدّها من أصول الإصلاح؛ فإن الأمة لا تعيش كريمة إلا إذا سدّت حاجتها من المال، الذي يكفل لها القوة، لصد كل من يحاول بها سوء.

وإذا ما وجدت هذه الرؤية التي وضعها الإمام لأصول الإصلاح الاجتماعي طريقها إلى التجسيد؛ فإنها ستعيد التوازن للمجتمعات الإسلامية، بين الحياة المادية

---

[١] – المصدر نفسه، ص٧٣.

[٢] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص٧٣.

[٣] – المصدر نفسه، ص ص٧٤، ٧٥.

والروحية.

المحور الخامس: رؤية الإمام الخضر للدعاة إلى الإصلاح:

إن هذه الأسس في الرؤية الإصلاحية للأمام محمد الخضر حسين، لا تجد طريقها إلى التجسيد؛ إلا إذا وجدت دعاة إلى الإصلاح؛ سخروا أنفسهم في سبيل نجاح الدعوة؛ ولذلك تحدث الإمام في كثير من مقالاته عن الدعاة، وشروط المصلحين، وعظم الدور المنوط بهم.

يصف الإمام الخضر المصلح بأنه الذي " يرشد الجاهلين، وينبه الغافلين، ويعالج النفوس الطائشة مع أهوائها؛ ليعيدها إلى فطرتها السليمة من الإقبال عن الفضائل، والترفع عن الرذائل"[1]، وبيّن أن للمصلح أربعة شروط وهي[2]:

١- استقلال الفكر.

٢- الاستقامة.

٣- قوة الإرادة.

٤- النظر في شؤون الاجتماع ومجاري السياسة.

فأما استقلال الفكر؛ فيكسبه الغوص في حقائق الشريعة ببصيرة نقية، ويمكّنه من النظر القائم بنفسه، فيبين أحكام الشريعة بالحجة والبيان، ويكشف عن وجوه حكمتها؛ مما يستمد بها القوة لصد أي شبه تُرمى بها. وأما الاستقامة؛ فلأن شرف العلم في العمل به، ولا بد للمصلح أن يكون القدوة في العمل بما يدعو له، يؤكد على ذلك الإمام الخضر بقوله:" ولا يستحق لقب عالم أو

---

[1] - علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص١٢٠.

[2] - انظر، المصدر نفسه، ص١٧٧ وما بعدها.

مصلح ذلك الذي يدعو الناس إلى العمل الصالح، ويقبض عنه يده، أو ينهاهم عن العمل السيء، ولا يصرف عنه وجهه، فمن أدب العلماء أن يسابقوا الأمة إلى اجتناب ما يُؤاخَذ به، وعمل ما يحمد عليه ... فإن ذلك أدل على إخلاصهم، وأدعى إلى توقيرهم وقبول نصائحهم"[1]. وأما قوة الإرادة، فإن المصلح يراقب سير الأمة حتى إذا اعترضها خلل نبه إليه، ولا شك أنه سيجد في طريق ذلك عوائق، لا يثبت معها إلا ذو عزم ثابت وإرادة قوية، وفي ذلك يتفاوت المصلحون بحسب عزائمهم وصبرهم على الدعوة. وأما النظر في شؤون الاجتماع ومجاري السياسة؛ فإن المصلح يرشد الأمة على انتهاج شريعة الله، وإلى التجمل بأخلاقها، ولا سبيل لذلك إلا إذا كان عليما بقضايا المجتمعات، وكذلك دعوة أولي الأمر إلى السياسة العادلة، وإعانتهم عليها؛ لا يتأتى للمصلح ذلك إذا لم يكن له علم بالسياسة.

كما بين الآداب التي لا بد أن يتحلى بها الدعاة، من أجل نجاح دعوتهم، ومن الآداب أن تكون دعوته بحكمة، وخطابه بلين، يقول:" يكون العالم رفيقا في خطابه، لينا في إرشاده"[2]، وإذا كان هذا نهجه في الدعوة إلى الإصلاح؛ فإنها تثمر وتصل إلى غاياتها، "ومتى كان في ولاة الأمور شيء من العدل، وكان في الداعي إلى الإصلاح حكمة وإخلاص، نجحت الدعوة في سعيها، وبلغت بتأييد الله مأربها"، وكذا لا بد من أن يكون المصلح مخلصا في دعوته، ولذا يحذر الإمام من العوارض التي قد تفسد على المصلح دعوته، كطلب الجاه، والرياء والعجب... يقول: ومن يدعو إلى الإصلاح ابتغاء الجاه، قد ينزل بين

---

[1] – علي الرضا الحسيني، المصدر السابق، الدعوة إلى الإصلاح، ص١٧٨.

[2] – المصدر نفسه، ص١٢٠.

قوم لا يحظى بينهم إلا من ينحط في أهوائهم، فينقلب داعيا إلى الأهواء".[1]

من خلال استعراضنا للرؤية الإصلاحية للإمام محمد الخضر حسين يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١- بنى الإمام الخضر رؤيته إلى الإصلاح على أساس الدين.

٢- أن رؤيته الإصلاحية رؤية متكاملة، تشمل جميع مناحي الحياة المادية والروحية.

٣- دعوته إلى الإصلاح دعوة بإحسان؛ وأسلوبها يقوم على أساس الوسطية والاعتدال.

٤- من السمات البارزة لرؤيته الإصلاحية؛ أنها تقوم على أساس العلم والعقل.

٥- تقوم رؤيته الإصلاحية على أصول؛ ومنها: الإصلاح الديني والتربوي والاجتماعي...

٦- أساس رؤيته للإصلاح التربوي تقوم على أساس التعليم الديني.

وفي الأخير ندعو الباحثين والدارسين إلى مزيد من البحث العميق في الموروث الفكري والعلمي والثقافي للإمام محمد الخضر حسين؛ بما يعيد إلى مشيخة الأزهر وإلى هذه القامة العلمية اعتبارها وريادتها في الساحة الفكرية العربية والإسلامية.

---

[1]- المصدر نفسه، رسائل الإصلاح، ص٧٧.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١- أحمد رشيق بكيني، محمد الخضر حسين الجزائري حياته وآثاره، مجلة منبر الإمام مالك بن أنس، تصدر عن الزاوية الحملاوية، الجزائر، العدد٤، ٢٠٠٢م.

٢- علي الرضا الحسيني، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، دار النوادر، سوريا، لبنان، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

٣- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبية، مصر، ط٣، ١٩٦١م.

٤- محمد جابر الأنصاري، الفكر العربي وصراع الأضداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

٥- محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، يونيو ٢٠٠٢م.

٦- محمد عبد المنعم خفاجي، علي علي صبح، الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٣، دت، ج٢.

٧- محمد عمارة، الاصلاح بالإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٨- محمد مواعدة، مقال بعنوان: محمد الخصر حسين شيخ الأزهر السابق، جريدة الصباح التونسية، بتاريخ ٢٤ فيفري ٢٠٠٨م.

٩- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

١٠- راينهارد شولتسه، هل توجد حداثة اسلامية، تر، محمد أحمد الزعبي، مجلة الاجتهاد، بيروت، ٢٠٠٢م.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٩٧٧
مقدمة	٩٧٩
المحور الأول: مفهوم الإصلاح	٩٨٠
المحور الثاني: الرؤية الإصلاحية عند الإمام محمد الخضر حسين	٩٨٤
المحور الثالث: السمات البارزة لرؤيته الإصلاحية	٩٩١
المحور الرابع: أسس الإصلاح عند الإمام محمد الخضر حسين	١٠٠١
المحور الخامس: رؤية الإمام الخضر للدعاة إلى الإصلاح	١٠١٠
المصادر والمراجع	١٠١٣
فهرس الموضوعات	١٠١٤